راقي الإحساس

إسلام محمد أبو فرحة

"راقي الإحساس" هو كل ما تمنيته في زوجي ورفيق دربي، بحثت عنه كثيرا، هذا الذي يسمو بحسه المرهف وبمشاعره الراقية التي يستشعر بها عواطفي وخلجاتي وآمالي، هذا هو مآلي ومقصدي وألفتي ومحبتي.

تفقدت وجوه خُطّابي علّي أجد في هذه الوجوه بادرة أو شاردة. كلهم يلهثون حول جمالي وروعتي، حول أنوثتي وشبابي. أنا صيدلانية! وكل من أعرفهم يتمنون أن أتزوج بقريب أو صديق لهم، فهم يرون في ذلك ميزة عظيمة، ومال وفير. أبي قد أصابه الإحباط من رفضي وأَنَفتي وعزوفي عن هؤلاء الخطاب، وأمي تنازعها مشاعرها التي تميل إلى رأيي تارة وإلى خوفها عليّ من شبح العنوسة تارة أخرى.

أحد خطابي كان كل ما يعنيه هو كوني منتقبة وهو يكره النقاب، فقال لي بتحد سافر:

ـ سأخلصك منه وأنزعه من قلبك وعقلك.

أبتسم وأنا أرى نفسي واضعة ساقي فوق الأخرى معلنة عن تمردي واستنكاري ونبذي لهذا الشخص. لقد أردت أن أعلمه درسا لن ينساه عن الأنثى التي أمثلها. أوقظه من غفلته التي يغرق فيها. واجهته، وقَارَعْتُه، الحجة بالحجة، حتى استفاق من وهمه، وأدرك تفاهة شخصه الكريم.

وآخر كل همّه كان بطنه. جلسنا نتحدث حول فنون الطبخ وأنواع الأطعمة والأشربة. لم يكن يفقه عن أي شيء آخر إلا الفتات. وحين أدركت ذلك أعلنتها بِسَاقَيّ. أمي حين ترى ذلك تعلم أن هذا اللقاء لن يمر على الزوج المحتمل إلا وهو واقع في نقاش ساخن سيخرج منه وهو يوشك على البكاء.

لقد توقفت عن العد بعد الخمسين! أجل، لقد تخطوا خمسين شابا ورجلا جاؤا يطلبون ودي ويريدون أسري.

حتى آتاني شاب وسيم الوجه، بهي الطلعة، يزدان وجهه بعلامة الصلاة، مبتسمٌ دائماً، على محياه تعابير القوة والصرامة والرقة في آن واحد. كان صيدلانياً هو الآخر. أسرني بحلاوة لسانه ووضوح بيانه، غزا قلبي بجمال إحساسه. لم أنبس ببنت شفة وهو يناقشني، لقد ألبسني ثوب الخجل، وأعدمني كل الحيل، فلم أملك من كل هذا إلا الرضوخ والاستسلام إليه.

تمر السنون، لقد تزوجت بفارس أحلامي، أو هكذا تخيلت، ورزقت منه بالبنين والبنات. خلال هذه الفترة تغير كل شيء. رجلي تحول من هذا الشخص راقي الإحساس إلى شخص مغاير تماما. أصبح شخصاً متواكلاً كسولاً لا يريد القيام بأي مهمة، لقد أوكل كل شيء لي. تربية الأطفال، احتياجات المنزل، التخطيط للمستقبل، حتى مشاعر الحب المتأججة صارت رماداً. أعلنت له مراراً وتكراراً أني أصبحت لا أطيقه، ببطنه المتدلية، ورأسه التي خلت من الشعر، وملابسه الرثة. ليس هذا هو الشخص الذي تمنيته لنفسي. أفكر كثيراً أن أنهي كل شيء، ولولا الأطفال الأبرياء لاتخذت هذا القرار على الفور.

بالأمس القريب أقبل إليّ وفي يده قطعة من الشكولاتة، لا تتخيلوا أنه قد أحضرها من تلقاء نفسه. لقد طلبتها منه!

هكذا أصبحت كل حياتي قائمة على الطلب، وبغير هذا الطلب لا يقوم لأي شيء قائمة.

لقد وعدني بالزهور التي سيأتي بها كل يوم، وحتى هذا الوقت لم أرى هذا الورد ولا حتى ساق مزدانة بالشوك، العدم هو ما يحضره لي كل يوم.

أضحت حياتي مزيجا من الرتابة والضيق والملل. أتمنى أني لم أتزوج هذا الرجل. الأنسب له أن يعيش وحيداً كما هو الآن، وحيدٌ في كنف هذا البيت الذي يؤوينا.

متبلد الإحساس، هذا هو التعبير الأمثل لما أراه فيه الآن، فهو الذي جعلني أشعر هذا الشعور حياله.

أخبروني، بالله عليكم، كيف أحيا في ظل رجل لا أطيقه؟ في ظل رجل تخلى عن كل الوعود والعهود وصار للجمود أقرب.

***